

مظاهر الانسجام الصوتي في القرآن الكريم

دراسة في كتابي: البرهان في علوم القرآن للزرکشي والإتقان في علوم القرآن
للسيوطي

Features of Vocal Harmony in the Holy Quran

A Study on the two books: *al-Burhan fi Ulum al-Quran* by al-Zarkachi and *Al-Itqan fi 'Ulum Al-Qur'an* by al-Suyuti

وليد بوجلال *

جامعة الحاج لخضر باتنة 1 الجزائر

مخبر المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من جهة

وحضارتي الكتابة والصورة من جهة أخرى

البريد الإلكتروني: Walidboudjille@gmail.com

تاريخ القبول: 2022-02-20

تاريخ الإرسال: 2021-06-22

ملخص:

تستند هذه الدراسة على أبرز مؤلفين في علوم القرآن وهما كتاب البرهان في علوم القرآن للزرکشي والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، وقد سعت إلى إبراز بعض مظاهر الانسجام الصوتي في القرآن الكريم من خلال عرضهما لعدة قضايا متعلقة بالتناسب بين فواصل القرآن الكريم وانسجامها من الناحية الصوتية ، ومن أجل تحقيق هذه الغاية سلكت منهج اللسانيات النصية في تحليل النصوص، واقتصرت على المستوى الصوتي في ذلك .

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص: انسجام ؛ فواصل ؛ تناسب.

Abstract: This study is based on two most prominent books on the sciences of the Quran; these are: *al-Burhan fi Ulum al-Quran* by al-Zarkachi and *Al-Itqan fi 'Ulum Al-Qur'an* by al-Suyuti. The two mentioned books explore various issues related to the correspondence between the ending words of the Quranic verses from the vocal perspective. Thus, this study is an attempt to highlight some features of the vocal harmony in the holy Quran. To achieve this aim, this study has followed the textual-linguistics methodology to text analysis limiting itself to the vocal level.

*-المؤلف المرسل .

مقدمة:

الانسجام الصوتي في القرآن الكريم من أهم القضايا التي عرضها الدارسون في كتب علوم القرآن قديما ، إذ مثلت مظهرا من مظاهر إعجازه ، فعلماء القرآن عكفوا على دراسة القرآن الكريم على كل المستويات اللغوية وغير اللغوية من أجل استنباط مواطن الإعجاز فيه ، ومن أبرز الجوانب المتعلقة بدراسة هذا الكتاب المقدس ما يتعلق بانسجامه ، وكونه كالكلمة الواحدة متسقة المباني منسجمة المعاني، ولذلك فقد سعى علماء القرآن للبحث عن كيفية انسجام النص القرآني .

تتمحور إشكالية البحث حول كيفية تحقيق الانسجام الصوتي من خلال ما ورد في علوم القرآن ؟ وما هي الآليات التي اعتمدها كل من الزركشي والسيوطي - باعتبارهما من أبرز المؤلفين في علوم القرآن - ليبرز كيف ينسجم النص القرآني صوتيا؟ وما هي أهم مظاهر هذا الانسجام ؟

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها :

. إبراز جهود علماء القرآن ومساهماتهم في مجال الدراسات النصية قديما .

. محاولة الكشف عن مظاهر الانسجام الصوتي في القرآني من خلال ما ورد في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي .

ومن أجل الإجابة عن الإشكالية، وتحقيقا للأهداف المرجوة، اتبع البحث المنهج الوصفي وفق ما قدمته لسانيات النص من إجراءات وآليات لتحليل النصوص ودراستها .

1- التداخل المعرفي والمنهجي بين علوم القرآن ولسانيات النص :

1.1- علوم القرآن :

كان العرب قبل الإسلام أهل علم باللغة وأصحاب فصاحة وفرسان بيان ، ولما تلا النبي محمد ﷺ على مسامعهم أولى آيات الذكر الحكيم ، تزعزعت القلوب، وتاهت العقول في هذا النص الجديد الذي لم يألفوه في عاداتهم وأعرافهم الكلامية ، واتجهت الأنظار إليه نقدا وتحليلا ، فعكفوا على محاولة الطعن فيه بغرض إبطاله والتشكيك فيه لردّ الناس عنه ، لما

عرفوه من قوة تأثيره على العقول وسحر بيانه، ومنعوا الناس من سماعه مخافة اتّباعه ؛ >> وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون>> سورة فصلت (26) ، فتحدهم الله عزّ وجل أن يأتوا بمثله قائلاً : >> وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين >> البقرة (23) ، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ووقفوا عاجزين معاندين .

ومن الجهة الأخرى، عكف الصحابة -رضوان الله عليهم- على حفظه وتلاوته وتدارسه، ومحاولة تفسيره وتدبره وفهم معانيه ومعرفة مقاصده وأحكامه، وقد كانوا عربياً خالصاً يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية، فإن أُشكل عليهم معنى سأل بعضهم بعضاً، أو سألو رسول الله -ﷺ- فبيّنه لهم ، ومن خلال هذه الممارسات اللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم نشأت علوم القرآن في وقت مبكر من الإسلام.

والمراد بعلوم القرآن تلك المباحث التي " تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءته وتفسيره وناسخه و منسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك، ويسمى هذا العلم بأصول التفسير؛ لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها"¹. وقد تطورت تلك المباحث المتعلقة بدراسة القرآن الكريم ، ثم استقلت فيما بعد بمؤلفات خاصة تحمل علوم القرآن، وبلغت أوج ازدهارها مع (بدر الدين الزركشي ت 794هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" ، ومن بعده جلال الدين السيوطي (ت911هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" .

2.1- ملامح اللسانيات النصية في علوم القرآن

اهتم العلماء بالقرآن الكريم، وكرسوا جهودهم لخدمة هذا النص المقدس، ولذلك اقترن ظهور العلوم العربية بمختلف اختصاصاتها اللغوية وغير اللغوية (النحو، واللغة، والبلاغة، والفقه، والأصول، والتفسير وعلوم القرآن) بنزول القرآن الكريم، فانصببت تلك الجهود حوله دراسة وتحليلاً، وكان الهدف الأساس منها هو دراسة القرآن الكريم بحثاً عن دلالاته ومقاصده ووجوه إعجازه ، و لما كان النص القرآني مركز دائرة هذه الدراسات؛ وصفت الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة النص.

¹ الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (1426هـ/2005م) دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد

الوطنية الرياض (المملكة العربية السعودية) ط14 ص32.

إن أقرب علم يتصل بهذا النص مباشرة هو علوم القرآن؛ ولذلك كان لعلماء القرآن "النصيب الأوفر في مقارنة النص القرآني ، وذلك بتوظيف كثير من العلوم والآليات والأدوات التي تحيط بالنص الكريم من جوانب متعددة وتستكشف قيمه الدلالية وجوانبه الجمالية وعلاقاته الكلية، فكان هذا العلم مؤهلاً لأن يكون أقرب إلى النهج الذي سلكته لسانيات النص"¹.

تعد مباحث علوم القرآن دراسات ذات منحنى نصي؛ لكونها تتعامل مع نص ، وهو النص المركزي في الثقافة العربية الإسلامية، ولا تقتصر على مستوى واحد من مستويات التحليل اللغوية ، وإنما تمس جميع المستويات بداية من المستوى الصوتي حتى المستوى الدلالي والتداولي . فالتحليل النصي ليس بدعا في الدرس اللساني الحديث، فالتراث العربي القديم غني بالممارسات النصية، ولا سيما تلك الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، مثل التفسير وعلوم القرآن ومباحث إعجاز القرآن، إلا أن لسانيات النص تعتمد على نصوص بشرية محددة معرضة للخطأ، أما علوم القرآن فإنها تتعامل مع نص مطلق؛ نص إلهي بعيد عن الخطأ والنقص لا يحدده الزمان ولا المكان .

كان علماء القرآن أكثر تفتننا وإدراكا لتلك الدراسات المتعلقة بتحليل نصوص كاملة، وذلك من خلال عدة مباحث تعدّ من صميم البحث النصي ومن بينها: علم المناسبات الذي يبحث في ارتباط أجزاء القرآن وتماسكه ، سواء على المستوى الصوتي في تناسب فواصل أي القرآن الكريم ، أو على المستوى التركيبي وكذلك الدلالي وما يتعلق بالسياق المقامي للنص القرآني من أسباب النزول ومباحث المكي والمدني . وقد استعملوا العديد من المصطلحات النصية مثل: التناسب، والتلاحم، والارتباط، والنظم، والاتساق، والانسجام، والمناسبة، والسياق، والسبك، والحبك، وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع اللفظ ... وأغلب هذه المصطلحات عبارة عن أدوات أساسية في التحليل النصي.

¹ بودرع عبد الرحمن ، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية 2013/02/16م، جامعة الملك سعود.ص15.

أما الناحية التطبيقية للتحليل النصي فيعدّ " تفسير القرآن من أنضح مظاهره " ¹ وهو من الممارسات النصية في التراث العربي، ومن أهم التفاسير التي تمثل هذا الاتجاه : تفسير البقاعي الموسوم بـ (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، وكذلك (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي الموسوم بـ (بمفاتيح الغيب) الذي يرى أن أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في ترتيباته وروابطه ².

إن المتأمل في مصنفات علوم القرآن يلاحظ أنها تشمل مستويات التحليل اللغوية المختلفة: الصوتية، والمعجمية، والتركيبية والدلالية والتداولية ؛ فأما الصوتية فتلك المباحث المتعلقة بالقراءات وأداب التلاوة ورسم المصحف ، وأما المعجمية فمباحث غريب القرآن ولغاته وألفاظه الأعجمية الأصل، أما التركيبية فمباحث تتعلق بالإعراب والضمائر والتقديم والتأخير... أما الدلالية فتلك المباحث المتعلقة بالعام والخاص والمجمل والمبين والمحكم والمتشابه ، أما التداولية فمباحث المكي والمدني وأسباب النزول .

و الغرض من الحديث عن هذه المستويات عند علماء القرآن في مؤلفاتهم هو محاولة الإحاطة بهذا النص من مختلف نواحيه الداخلية والخارجية؛ وذلك من أجل فهمه وإدراك دلالاته للوصول إلى مقاصد الله عز وجل ومراده من هذه الرسالة الموجهة للبشر. وعليه فعلماء القرآن لم تكن دراستهم لهذا النص مقتصرة على مستوى معين دون الآخر، وإنما فصلّوا القول في كل المستويات، وحاولوا الربط بينها لمعرفة كيفية تأثير مستوى على الآخر من أجل إدراك الدلالة العامة للنص، فجاءت نظرتهم إلى القرآن الكريم نظرة كلية، أكدوا من خلالها الترابط و" المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وجمل النص الواحد، ونصوص القرآن كله " ³، فجاءت تحليلاتهم شاملة للقرآن كله وعلى مستوياتها المختلفة .

¹ البطاشي خليل بن ياسر(1430هـ.2009م) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر، عمان (الأردن) ط1، ص11.

² ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا، دار الهدى عين مليلة (الجزائر)، ج 2، ص 976.

³ الفقي صبحي إبراهيم (2000 م) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية، دار قباء، القاهرة ط1، ص 50.

2- مفهوم الانسجام :

1.2- الانسجام في التراث العربي :

قال ابن منظور في لسان العرب: "سجمت العين الدمع ، والسحابة الماء ، تسجّمهُ وتسجّمهُ سجما وسجوما وسجمانا ، وهو قطران الدمع و سيلانه ... وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم، أي انصبَّ"¹ .

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : "السين والجيم والميم أصل واحد، هو صب الشيء من الماء والدمع ، يقال سجمت العين دمعها ، وعين سجوم ، ودمع مسجوم، ويقال أرض مسجومة : ممطورة"² .

أما الزمخشري في أساس البلاغة فيسرد معاني الانسجام بقوله : "دمع ساجم ومسجوم ومنسجم ، ودموع سواجم وعيون سواجم ، و سجمت العين دمعها سجما و سَجَمَ الدمع سجوما ، ومن المجاز : مطر وسحاب ساجم و سَجَّام"³

من خلال تتبع معاني الانسجام في هذه المعاجم العربية نجد أن دلالاته تتمحور حول صب الماء و سيلانه وكذلك الدمع ، وهذا يوحي بالانحدار والتتابع والاستمرار دون انقطاع و انحباس.

وقد جاءت لفظة الانسجام في التراث العربي عموما مقترنة بالكلام، فقد ذكره الكفوي في (كتاب الكلبيات) قائلا : "الانسجام : هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم لسهولته وعدوبة ألفاظه وعدم تكلفه ليكون له في القلوب موقع وفي النفوس

¹ ابن منظور: لسان العرب(2008 م) ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث الجزائر. ط1.. مادة (سجم).

² بن فارس أحمد (2002م) تحقيق عبد السلام هارون ، معجم مقاييس اللغة ، الجزء الثالث ، مادة سجم طبعة اتحاد الكتاب العرب ، ص 145 .

³ الزمخشري أبو القاسم جار الله (1998 م) تحقيق محمد باسل عيون السود ، أساس البلاغة ، مادة سجم ، الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص 440 .

تأثير"¹. وقال السيوطي مشيها له بالماء قائلا : " هو أن يكون الكلام - لخلوه من العقادة - منحدرًا كتحد الماء المنسجم ، ويكاد لسهولة تركيبه وعضوبة ألفاظه أن يسيل رقة"² إلا أن الكفوي يزيد في تعريفه على السيوطي ذكر أثر الكلام على متلقيه، فاشتراط لانسجام الكلام أن يكون عفويا ليس فيه تكلف ، وأن يؤثر في نفسية المتلقي ليحكم عليه بالانسجام . ولذلك شبه الكفوي و السيوطي الكلام المنسجم بالماء المتحدر؛ فالماء المتحدر يرتبط بعضه ببعض دون انقطاع، والكلام الذي يتصف بالانسجام و سهولة التراكيب وعضوبة الألفاظ والخالي من التعقيد، يجعل القارئ " يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى، ويقرأ النص كوحدة واحدة، وليس مجموعة من الجمل المنفصلة... ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة"³ مثل الماء المنسجم الذي يتصف باستمرارية التدفق وعدم الانقطاع.

وهنا ننبه إلى أن استعمالهم لعبارة (عضوبة الألفاظ) يشير ضمنيا إلى قضية التناسب الصوتي بين جمل الكلام المنسجم ، وإذا ما وازنا ذلك بالقرآن الكريم نجد أن آياته في غاية العضوبة والانسجام بين فواصله ، أكثر مما وصفوه بالماء المتحدر المنسجم دون انقطاع ، وذلك لعضوبة ألفاظه وتناسبها .

2.2 الانسجام في دراسات علوم القرآن :

نزل القرآن الكريم على سيدنا -محمد ﷺ- منجما في أوقات وأماكن مختلفة، ولأسباب مختلفة، وقد استغرق نزوله أكثر من عشرين سنة، ومع ذلك فعلماء القرآن يصفونه بأنه " كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"⁴، وقد نقل (السيوطي) عن (فخر الدين الرازي) قوله: "القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا

¹ الكفوي أبو أيوب موسى الحسيني (1998 م)، الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده عدنان درويش ومحمد المضري ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت لبنان، ط 2 ، ص 196 .

² السيوطي جلال الدين : الإتيان في علوم القرآن ، 908 .

³ شبل عزة (2009 م) علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة (مصر). ط 2، ص 184 .

⁴ ينظر السيوطي : الإتيان، ج 2، ص 976.

بسبب ترتيب ونظم آياته"¹، أي أن إعجاز القرآن كامن في الترتيب ونظم الآيات، وفي هذا السياق يقول (عبد القاهر الجرجاني) عن العرب وموقفهم من القرآن الكريم: " تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى، أو أخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتثامًا، وإتقانًا وإحكامًا ..."²، وقد كان هذا إجابة عن السؤال الذي طرح: ما الذي أعجز العرب في النص القرآني؟ وردًا على القائلين بالصُرفة، وأن الله صرف العرب وأعجزهم بقدرته عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

إن علماء القرآن كان لهم الدور البارز في العديد من الممارسات النصية المتعلقة بالقرآن الكريم، " فعملهم يقوم أساسا على النظرة إلى النص القرآني كاملا، إلى درجة أنهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة ... فأكدوا تماسكه الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ... وأيضًا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجمل النص الواحد ونصوص القرآن كله كذلك "³، كما اهتموا أيضا بما يحيط به من مواقف متعلقة بنزوله فجاءت نظرتهم إليه شاملة .

استطاع علماء القرآن رسم رؤيا شاملة متكاملة حول تحليل النص القرآني، والخروج من إطار الآية الواحدة إلى البحث عن العلاقات الرابطة بين الآيات المتعددة المشكلة للمقطع القرآني، وكذلك مجموع المقاطع المشكلة للسورة الواحدة ومجموع السور المشكلة للقرآن كله، وحاولوا إظهار أوجه الترابط بين هذه الأجزاء، وقد خصصوا في مصنفاتهم مباحث خاصة بذلك .

لقد خصص علماء القرآن مباحث متعلقة بترابط الآيات والسور وتماسكها، وأوضح ما عبروا به عن هذا التماسك هو مباحث علم المناسبات الذي يعدّ من أهم القضايا التراثية التي يتجلى من خلالها انسجام النص القرآني، حيث يتضح من خلال هذا العلم مدى ترابط النص القرآني وتماسك أجزائه (الألفاظ والآيات والسور)، وهذا التماسك

¹ ينظر 1 المصدر نفسه، ج2، ص977.

² الجرجاني عبد القاهر (1984 م) دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص89.

³ الفقي صبيح إبراهيم، علم اللغة النصي، ص 50.

(المناسبة) يتحقق على مستوى جميع مستويات التحليل اللغوي ، ومن خلال هذه الدراسة نحاول استكشاف مظاهر الانسجام الصوتي حسب وجهة نظر علماء القرآن ونخصّ منهم بدر الدين الزركشي وجلال الدين السيوطي، حيث تحدثنا عن الانسجام الصوتي من خلال تناسب فواصل أي القرآن الكريم .

4-مظاهر الانسجام الصوتي في علوم القرآن :

يتضح مبدأ الانسجام الصوتي في القرآن الكريم من خلال ظاهرة التناسب بين فواصل الآيات القرآنية ، وقد سعى كلّ من الزركشي والسيوطي لإظهار هذه الظاهرة وتحليلها تحليلًا نصيًا من خلال إبراز أهم العلاقات الصوتية التي تربط بين الآيات المتتالية داخل السورة الواحدة، أو حتى بين بعض الكلمات داخل الآية الواحدة ، فهذا تمام حسان يحدد المناسبة الصوتية بقوله: " يقصد بالمناسبة الصوتية أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين أن يكونا على صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع " ¹ ، و يؤكد أن المناسبة الصوتية تعتمد على الانسجام ، وأن أشهر مظهر للمناسبة الصوتية هي الفاصلة القرآنية ² ، إضافة إلى التوازي والجناس :

1.4- تناسب الفواصل :

تعد الفواصل القرآنية من العناصر الأساسية التي تميز النص القرآني عن غيره من النصوص الأخرى، و تبرز تماسكه من الناحية الصوتية؛ و " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقريئة السجع " ³ على حدّ تعريف السيوطي .

وضع علماء القرآن مفهوم الفاصلة في القرآن الكريم في مقابل القافية في الشعر والسجع في كلام العرب المنثور ، وعمدوا إلى تسمية ما في القرآن فواصلًا، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعًا، رغبة منهم في تزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن

¹ حسان تمام (1993) البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، دار عالم الكتب

القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص 300 .

² ينظر ، المرجع نفسه ، ص 302 .

³ السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 940 .

الكهنة وغيرهم¹، ومثل ذلك في تسميتها بالقوافي؛ قال السيوطي: "ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً، لأن الله تعالى لمَّا سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه"². لقد تنبه علماء القرآن إلى الدور الذي تؤديه الفواصل القرآنية في الربط بين الآيات، مما يجعل من النص القرآني وحدة متجانسة في سمع المتلقي، فالآيات القرآنية الكريمة "تنتهي بفاصل منسجمة موسيقياً بعضها مع بعض"³، مما يؤثر على المستمع ويخلف في سمعه نوعاً من الانسجام الصوتي، وهذا ما أبرزه الزركشي بقوله: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في النفس تأثيراً عظيماً"⁴.

وقال أيضاً نقلاً عن الزمخشري في قضية المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتناسل: "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرد ما إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتناسل، كما لا يحسن تخيّر الألفاظ المونقة في السمع، السلسة على اللسان، إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة"⁵. وقد أدرك السيوطي أيضاً هذا الدور الذي تؤديه الفواصل في تماسك أجزاء النص القرآني داخل السورة الواحدة وبين سورتين متتاليتين، وقد مثل لذلك بعدة نماذج من القرآن الكريم منها:

1.1.4 المناسبة الصوتية بين سورتين متتاليتين:

عرض السيوطي عدة أمثلة عن هذا النوع من الانسجام بين السور، ومن بينها:

¹ ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص945.

² السيوطي الإتيقان، ج2، ص942.

³ السامرائي فاضل صالح (2006 م) التعبير القرآني، دار عمار، عمان الأردن، ط4، ص217.

⁴ الزركشي بدر الدين، (1404هـ، 1984م) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

التراث، القاهرة (مصر) ط3، ج1، ص60

⁵ الزركشي، المصدر نفسه، ج1، ص62.

المناسبة الصوتية بين سورتي المسد والإخلاص: يرى أن الربط بينهما كان "للتوازن في اللفظ"¹ ، حيث لاحظ وجود انسجام صوتي بين الفاصلة الأخيرة من سورة المسد ، وبين فواصل سورة الإخلاص.

قال تعالى: «>> في جيدها حبل من مسد << المسد (5).

وقال: «>> قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»<< الإخلاص، فهذه الفواصل جاءت متناسبة مع بعضها.

وقد ذكر في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور"؛ أن سورة الإخلاص وضعت بعد سورة المسد لتوافق "الوزن في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة تبت"²، فكان ذلك مما خلق تناسقا صوتيا بين السورتين. فالتناسب بين فواصل الإخلاص وآخر فاصلة في المسد جعلهما متماسكتين.

وكذلك ما ذكره في المناسبة بين "سورة الفلق" وما قبلها، قال: "وقُدِّمَت الفلق على الناس، وإن كانت أقصر منها لمناسبة مقطعها في الوزن لفواصل الإخلاص مع مقطع تَبَّتْ"³ ، والمراد بذلك أن قوله تعالى في سورة الفلق: «>> ومن شرّ حاسد إذا حسد << الآية (5) موافق في الوزن لفواصل الإخلاص ، كما أنه موافق أيضا للفاصلة الأخيرة في المسد <<في جيدها حبل من مسد << المسد (5) فكان ذلك رابطا بين هذه السور.

2. 1.4 المناسبة الصوتية داخل السورة الواحدة:

إذا كان للفواصل دور في الربط بين السورة والسورة التي تليها على الوجه الذي ذكره السيوطي، فإنها في السورة الواحدة أكثر بيانا لذلك الترابط ، وحروف الفواصل القرآنية

¹ السيوطي ، الإتقان ، ج2 ، ص 987 .

² السيوطي جلال الدين (1406هـ / 1986 م) تناسق الدرر في تناسب السور ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروت .لبنان ، ج 2 ، ط1 . ص 146 .

³ المرجع نفسه، ص 148 .

كما قسّمها الزركشي إما متماثلة أو متقاربة، وهي لا تخرج عن هذين القسمين كما وضحهما :

الفواصل المتماثلة :

فمن المتماثلة ما أورده الزركشي عن قوله تعالى: «وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُّسْتَوٍ فِي رُقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» الطور (1، 4) .

وقوله : «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلًا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى» سورة طه (1، 4) .

وقوله تعالى : «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَا بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَا بِهِ جَمْعًا» سورة العاديات (1/5) .

وساق لذلك آيات كثيرة جدا هذه بعضها فقط مما ذكره :

قال الله تعالى : «فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» سورة التكوير (15/18) .

قال الله تعالى : «فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لِتَرْكَبَهُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» سورة الانشقاق (16/19) .

قال الله تعالى: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» سورة الضحى (5/6) .

الفواصل المتقاربة : المقصود بها تلك الفواصل المتقاربة في مخارج الحروف مثل قوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» الفاتحة (1/4) .

وقوله : «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ» سورة ق (1/3) .

فإذا كانت حروف الفواصل متماثلة أو متقاربة ، فإنها تترك في سمع المتلقي أثرا صوتيا يوجي له بتماسك وانسجام هذه الفواصل مع بعضها من بداية السورة حتى خاتمتها ، وقال " فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة " ¹ .

وقد تردُّ السورة كاملة مبنية على الحرف الذي بدأت به مثل سورة القلم التي جاءت كل فواصلها مبنية على حرفين متقاربين وهما الميم والنون . مما خلق انسجاما صوتيا من بداية

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 75 .

السورة حتى خاتمها ، قال تعالى : >> ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإنك لعلی خلق عظیم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودّوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كلّ حلاف مهين همّاز مشاء بنميم متّاع للخير معتد أثيم عتلّ بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم>> القلم (16/1)

قال الزركشي في البرهان مبرزا الانسجام الوارد في هذه السورة: "فإن فواصلها كلها على هذا الوزن مع ما تضمنت من الألفاظ النونية"¹ ، وقال السيوطي: "فلو وُضع >>ق<< موضع >>ن<< لانعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله "² . فالتقارب الصوتي في حروف الفاصلة يوحي للقارئ أو المستمع بالانسجام الصوتي في السورة كاملة .

2.4 التوازي والتوازن في الفواصل :

ومن التناسب الصوتي أيضا ما أورده الزركشي في باب تقسيم الفواصل إلى المتوازي والمتوازن والمطرّف؛ قال: "وأشرفها المتوازي وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع"³ .

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: >> فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة>> الغاشية (13 / 14).

وقوله : >>والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل>> آل عمران (48 / 49).
أم المطرّف فقال فيه: " أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن "⁴ ، كقوله تعالى :
>> مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا >> نوح (13 / 12) ، وأما المتوازن فهو "
أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط "⁵ كقوله تعالى : >> وآتيناهما الكتاب المستبين
وهديناهما الصراط المستقيم>> الصافات (117 / 118) .

¹ الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 170 .

² الإتقان، ج 2، ص 989 .

³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج 1 ، ص 75 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 76 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 76 .

3.4 الجناس :

تعد ظاهرة الجناس اللفظي من مظاهر الاتساق الصوتي ، وفائدته كما ذكر السيوطي: "الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها"¹ ، وذلك بسبب ما تخلفه من انسجام صوتي بين الكلمات في سمع المتلقي .

قسم السيوطي الجناس إلى أنواع منها :

– التام : وهو اتفاق اللفظتين في " أنواع الحروف وأعدادها و هيئاتها "² ، مثل قوله تعالى: «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» الروم /55 . وقوله تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقرب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار» النور (43 /44) .

–. الناقص : " بأن يختلف في عدد الحروف ، سواء كان الحرف المزيد أولا أو وسطا أو آخر"³ ، مثل قوله تعالى«والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق» القيامة (29 /30) .

والشواهد التي أوردها الزركشي والسيوطي من القرآن الكريم عن الجناس كثيرة ، ورغم أن قضية الجناس تعدّ مظهرا من مظاهر الانسجام الصوتي في القرآن الكريم إلا أنها قضية بلاغية متعلقة بالعربية عموما، ومع ذلك فإن أبرز مظهر يوحى بانسجام النص القرآني من الناحية الصوتية هو تناسب الفواصل ، فتناسب الفواصل القرآنية سواء داخل السورة ذاتها أو في سورتين متتاليتين يمثل أرقى مستويات الانسجام الصوتي في القرآن الكريم الذي لا نجد له مثيلا في كلام العرب .

الخاتمة:

وختاما فإن علوم القرآن تتقاطع معرفيا ومنهجيا مع ما جاءت به اللسانيات النصية الحديثة ، غير أن الثانية تتعامل مع نصوص بشرية غير مطلقة ونسبية ، أما الأولى فإنها تتعامل مع نص مقدس ومعجز ، وسبب إعجازه يرجع إلى ذلك النظام اللغوي البديع الذي

¹ السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن، ج2 ، ص920 .

² المصدر نفسه : ج2 ، ص920 .

³ السيوطي ، الإتيقان، ج2 ، ص921 .

يتميز به عن غيره من النصوص، وإلى ذلك الترابط والانسجام الذي يحويه. وبعدهما بذل علماء القرآن أقصى جهودهم في دراسته توصلوا إلى أن النص القرآني يتميز بانسجام صوتي بعيد كل البعد عما كان يألفه العرب في ثقافتهم وقت نزوله، وهذا الانسجام الصوتي خاضع لنظام الفواصل وتناسبها، ذلك النظام الذي أعجز العرب ووقفوا أمامه موقف ذهول ودهشة غير قادرين على معارضته رغم قدراتهم اللغوية الفائقة في صناعة الكلام.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش .

1. البطاشي خليل بن ياسر (1430هـ . 2009م) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر، عمان (الأردن)، ط1.
- 2 - بودرع عبد الرحمن، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 16/02/2013م.
- 3 - الجرجاني عبد القاهر (1984م)، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر .
- 4 - حسّان تمام (1993)، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، دار عالم الكتب القاهرة، ط 1 .
- 5 - الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (1426هـ/2005م)، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض (المملكة العربية السعودية)، ط14 .
- 6 - الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر ، ط3،
- 7 - الزمخشري أبو القاسم جار الله (1998م) ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- 8 - السامرائي فاضل صالح (1404هـ، 1984م)، التعبير القرآني ، دار عمار ، عمان، الأردن، ط4 ، 2006 م .

- 9- السيوطي جلال الدين ، الإِتقان في علوم القرآن ، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- 10 - السيوطي جلال الدين (1406هـ / 1986 م)، تناسق الدرر في تناسب السور ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ، ط1 .
- 11- شبل عزة (2009م)، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2.
- 12 - بن فارس أحمد (2002 م)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة اتحاد الكتاب العرب .
- 13 - الفقي صبحي إبراهيم (2000م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية ، دار قباء، القاهرة، ط1 .
- 14 - الكفوي أبو أيوب موسى الحسيني (1998م)، الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت لبنان، ط2 .
- 15 - ابن منظور محمد أبو الفضل (2008 م)، لسان العرب، ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث الجزائر، ط1.